أبو طلال طلعت فؤاد قاسمي

دروس الشيخ أبو طلال طلعت فؤاد قاسمي

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ١٠٥٧٠٣
الطابع الزمني: ٤٧-٠٤-٠٨-٣١-٠١-٢٠٢٢
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

عن الكتاب

الكتاب: دروس الشيخ أبو طلال طلعت فؤاد قاسمي
المؤلف: أبو طلال طلعت فؤاد قاسمي
المصدر:الشاملة الذهبية

عن المؤلف

أبو طلال طلعت فؤاد قاسمي

١ قصة طالوت دروس وعبر

مؤسسة التحايا تقدم:
تفريغ الخطبة المرئية بعنوان:
قصة طالوت دروس وعبر
للشيخ:
أبو طلال القاسمي
- رحمه الله -
المدة:٤١ دقيقة
إنتاج ونشر: سرايا الأندلس

الحمد لله، كل شيء خاشع له، كل شيء قائم به، غنى كل فقير و عز كل ذليل
سبحانك ربي معبوداً و خالقا، سبحانك كل غيب عندك شهادة، وكل سر عندك علانية
سبحانك لا يزيد في ملكك من أطاعك، و لا ينقص من سلطانك من عصاك
سبحانك لا يفلتك من طلبت ولا يرد قضاءك من سخط أمرك سبحانك لا منجى منك إلا إليك
نحمده سبحانه و نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوب إليه ونتوكل عليه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مُضلَّ له و من يضلل فلا هادي له، ومن يُهِن الله فما له من مكرم.
وأشهد أن لا إله إلّا الله.
إلهي .. كَم مِن زَلَّةٍ لِي في البرايا ••• فعَضَضتُ أَناملي وَقَرَعتُ سِنّي
إِلَهي لا تُعَذِّبني فَإِنّي ••• مُقِرٌّ بِالَّذي قَد كانَ مِنّي
يَظُنُّ الناسُ بي خَيراً وَإِنّي ••• لَشَرُّ الخَلقِ لو لَم تَعفُ عَنّي
ونشهد أن أستاذنا وحبيبنا ومعلّمنا و قدوتنا وقائدنا محمّداً عبد الله ورسوله وصفيّه من خلقه وحبيبه، ونبيّه و نجيبه وبعيثه و صفيّه بلّغ الرسالة و أدى الأمان و نصح للأمة
اللّهم صلّ وسلّم وبارك عليه صلاةً تُرضيكَ و ترضيه وترضى بها عنّا يا رب العالمين، ثمّ أما بعد:
إخوة الإسلام، وأمّتنا تستعدّ كي تقوم بدورها الواعد، الذي ناطها به ربّنا عزّ وجلّ.
ما لنا نحن كذلك، لا نستزود من الزاد المتنوع الوفير من كتاب ربّنا، من رائدنا النّاصح بعد وفاة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، من مدرستنا التي نتعلّم منها ونأخذ منها توجّهات و توجيهات حياتنا كلّها، ما لنا إخوة الإسلام! وكتاب ربّنا عزّ وجلّ ليس مجرّد كلامٍ جميلٍ يتلى ولا مجرّد سجلٍّ لحقائق تاريخية فقط، وإنّما هو سجلٌّ حافلٌ وإنّما هو مدرسة موجّهة، حيّة، ينبغي عباد الله ونحن بوصفنا أمّة الإسلام وارثي العقيدة الإسلامية أساتذة الدّنيا، بوصفنا كذلك ينبغي أن ننظر إلى كتاب ربّنا كتوجيهاتٍ حيّة تتنزّل اليوم كي تعالج قضايا اليوم وغداً حاضرنا ومستقبلنا.
هكذا عباد الله ينبغي أن ننظر في كتاب ربنا حينها نرى كلام ربّنا عزّ وجلّ كأنه يقول لنا هذا عدوّكم فاتخذوه عدوّاً وهذا صديقكم فاتخذوه صديقاً، هكذا فاستعدّوا وكذا فاعتبروا هكذا كأنها مرآة يبيّن لنا فيه ربّنا عزّ وجلّ مزالق الأمم السابقة فلا نقع في أخطائهم.
والقرآن العظيم مليءٌ بقصص عظيمة فيها كثير العبر و قد أكثر القرآن من ذكر قصص بني إسرائيل، لماذا؟ لأسباب كثيرة: منها أن الله عزّ وجلّ علم أن من بين أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم من سيقفون من عقيدتهم ذات الموقف الذي وقفت فيه أو منه أو به بنو إسرائيل تجاه دينهم، و تجاه أنبيائهم وتجاه عقيدتهم.

من هذه القصص نعيش بقلوبنا وعقولنا هذه الخطبة، يقول الله عزّ وجلّ في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم:
{ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم * من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون * ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين} [البقرة: ٢٤٣ - ٢٥١].
القصة ها هنا عباد الله تروي لنا تجربتين لبني إسرائيل، التجربة الأولى يراد مغزاها ويراد العبرة منها فقط بغضِّ النظر عن شُخوصها و مكانها وزمانها
{ألم تر إلى الذين خرجوا} كأنّها رؤية قلب، إذن لننظُر إلى هؤلاء الخارجين من ديارهم وهم أُلوف كثيرة أو هم مؤتلفون ومتوافقون على هذا الخروج خرجوا من ديارهم حذر الموت، مخافة الموت هذه عباد الله توطئة ومقدّمة لكم أمّة الإسلام بين يدي أمر الله عزّ وجلّ للقتال في سبيل الله و الجهاد في سبيل الله يُوطّئ لكم ربّكم عزّ وجلّ بهذه القصّة التي يصحّح بها التصور عن قضيّة الموت و الحياة، وعن حقيقة الأسباب الظّاهرة للموت والحياة و الحقيقة المضمرة من وراء قضيّة الموت والحياة.
{ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت}
خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت لأنه كما قيل في بعض التّفاسير قد كتب الله عزّ وجلّ عليهم الجهاد في سبيل الله، فظنّوا أن الجهاد يقصّرُ عمراً فخرجوا من ديارهم مخافة الموت!، ماذا كانت النتيجة؟
بذلوا جُهداً كي يتّقوا الموت ها هنا الله عزّ وجلّ فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم، إذاً جهدهم في اتقاء الموت لم يفدهم شيئاً و أيضاً ما بذلوا جهداً لاسترجاع الحياة كأن العظة و العبرة أن آخذ الحياة هو الله و أن معطي الحياة هو الله، إن لله ما أخذ وله ما أعطى إذن فلتطمئن النفوس.
هؤلاء قد أماتهم الله عزّ وجلّ ميتة عقوبة كما قال ابن العربي -رحمه الله-: (و ميتة العقوبة بعدها حياة أما موتة الأجل فلا حياة بعدها.)
يقول ابن عبّاس -رضي الله عنهما-: (إن هؤلاء النسل من بني إسرائيل قد أحياهم الله عزّ وجلّ بعدما أنتنوا ولهذا، الرائحة النّتنة في نسلهم إلى يومنا هذا.) هكذا يقول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.
وإنني والله لأشمّ تلك الرائحة من مسيرة كذا وكذا حتّى من أمام التلفاز و نحن نرى هؤلاء يصافحون الدّمى المتحرّكة التي يحركونها كأحجار على رقعة الشطرنج، بل وأخذوا منهم تلك الرّائحة النتنة التي ولا شك قد شممتموها حينما يرقّعون تلك المصافحات أو الاتفاقات التي يتلوا بعضها بعضاً وفق مسلسل قد أعدَّ سلفاً.
{فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم} إن الحكمة الإلهية من وراء الإماتة ومن وراء استرجاع الحياة متحققة و الفضل من الله عز وجل في

كلتا الحالتين {إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون}
ثمّ تأتي العبرة و العظة من هذه القصّة متمثّلة في هذا الأمر الإلهي {و قاتلوا في سبيل الله و اعلموا أن الله سميع عليم} كأن هذه العبرة أو هذه التّجربة تقول لنا: طالما أن الحذر من الموت لا يجدي وطالما أن الفزع و الهلع لن يمدّ لي أجلاً و لن يقصّر لي عمراً إذن {و قاتلوا في سبيل الله و اعلموا أن الله سميع عليم} لا يُقعدنّ بكم حبُّ الموت أو حبُّ الحياة وكراهيّة الموت عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله، هذا أمر إلهي ينبغي أن تكون النفوس مطمئنة تجاهه وهي تباشر تكاليف المولى عزّ وجلّ بإقامة فرض الجهاد في أرض الله والقتال في سبيل الله، ليس في سبيل أي شيءٍ آخر وإنّما هو في سبيل الله، و اعلموا أن الله سميع عليم يسمع القول و يعلم ما وراءه، يسمع الدعاء ويستجيب بل ويعلم ما في هذه الحياة وما يحقّق الخير فيها فيأمركم به، {و اعلموا أن الله سميع عليم} و غالباً ما يقترن الأمر بالبذل في سبيل الله مع الأمر بالجهاد في سبيل الله {و من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون} نعم عباد الله، حيث أن الحياة لن يقدّمها جهادٌ في سبيل الله ولن يؤخرها قتال في سبيل الله! إذن كذلك المال لن يبقيه و لن يزيده حرصٌ
ولا بُخل ولن ينقصه إنفاقٌ ولا بذل في سبيل الله تعالى وإنّما الله عزّ وجلّ يعرض عليكم هذا العرض {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة}
يروي زيد بن أسلم -رحمه الله- أن أبا الدحداح -صحابي جليل- يسمع هذه الآية فيأتي لرسول لله صلى عليه وسلم قال: فداك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرضنا وهو غني عنا؟
قال: نعم إنما يريد أن يدخلكم به الجنة.
قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً حسناً يضمن لي ولصبيتي الجنة؟
فقال عليه الصلاة والسلام: نعم.
فقال أبو الدحداح: يا رسول الله ناولني يدك. فناوله النبي الكريم يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى- هبة-
فقال عليه الصلاة والسلام: اجعل أحدهما لله تعالى والأخرى دعها معيشةً لك ولعيالك.
فقال أبو الدحداح: أشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى، الأجمل الأكبر، وهو حائط فيه ستمئة نخلة. قال عليه الصلاة والسلام: إذن يجزيك الله به الجنة.
يعود أبو الدّحداح مسرعاً إلى أم الدحداح فيناديها وهي بالحديقة: يا أم الدحداح قد أقرضت ربّي الحديقة رجاء الجنّة لي ولكم، فقالت له أم الدّحداح: ربح بيعُك يا أبا الدحداح بارك الله لك فيما اشتريت ثمّ طفقت المرأة تخرج التمر من أفواه عيالها ومن أكمامهم ويخرجون جميعاً من الحديقة، فيقول النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم: (كم من عذق رداح و دار فياح في الجنّة لأبي الدحداح).
نعم عباد الله إنه قرضٌ حسنُ المضمون عند الله عزّ وجلّ ولن يضيع. ولهذا أخذ العلماء من هذه الآية بوجوب أن يردّ المستقرض القرض الذي اقترضه ولا يزيد عليه ولو حبّة واحدة وإلّا كان
ربا ولا يعطيه على هذا القرض هديّة وإلّا كان ربا إلّا إذا تلك كانت عادة لهؤلاء القوم، إذا هناك مقدّمات إخوة الإسلام تقول: أن الفزع والحذر من الموت لا يُجدي، ثمّ أيضاً أن المال لن ينقص بالبذل في سبيل الله عزّ وجلّ وأنّنا جميعاً راجعون إلى الله، إذن النتيجة المنطقية فلنقاتل في سبيل الله ولنبذل ما عندنا لله عزّ وجلّ ثمّ نحن جميعاً راجعون إلى الله كي نفوز بحياة كريمة، عزيزة، طليقة، شجاعة في هذه الدّنيا ثمّ نفوز برضى الله عزّ وجلّ وبالجنّة يوم القيامة. أرأيتم شيئاً أكثر من هذا يا عباد الله؟
{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط} إن الله عزّ وجلّ هو الذي يقبضُ وهو الذي

يبسط وليس لعطائه خازن ولا لعطائه حدّ، ثمّ {وإليه ترجعون}
أنتم بقضّكم وقضيضكم بمالكم وأموالكم وما تملكون سوف ترجعون إلى الله عزّ وجلّ. إذن ما بال المسلمين لا يقومون بهذا الواجب العزيز الذي دلّنا عليه ربّنا عزّ وجلّ ودلّنا عليه رسولنا صلّى الله عليه وسلّم؟
ثم تنتقل الآية بعد ذلك كي تبيّن لنا تلك التجربة الثانية {ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل} الملأ هم الأشراف كأنهم امتلئوا شرفاً {ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم} أنبياء بني إسرائيل كثيرون!
جاء هؤلاء بعدما شُرّدوا وبعدما أهينوا لمّا حادوا عن أوامر ربّهم لمّا تركوا تشريعات أنبيائهم ذلُّوا وتمكّن منهم أعداؤهم، تماماً كحالنا نحن هذه الأيام أمة الإسلام، فكأنما بعضاً منهم قد انتفضوا عقيدةً فجاؤوا لنبيٍّ لهم {ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله} طلبوا منه أن يدعُ الله عزّ وجلّ أن يرسل لهم ملكاً يقاتلون من خلفه في سبيل الله، إذن هي انتفاضة عقائديّة إذن هؤلاء كأنما الطريق وضحت أمامهم فليس ثمَّ غبشٌ ولا تلجلج ولا تردّد لا في نفوسهم ولا في قلوبهم، ليس ثم غبش أمام أعين هؤلاء وهذا الوضوح تمخض الطريق ووضوح هذا السبيل هو نصف الطريق إلى النصر،
ولهذا يقول كثير من قادة الحركات الإسلامية هذه الأيّام حينما يغبّشون على المسلمين طريقهم، حينما يميّعون أمورهم لا بدّ من أن تتضح في نفسك أيها المسلم أنك على الحقّ وأن عدوّك على الباطل، حينها تكون المُفاصلة التي يتنزّل عندها نصر الله عزّ وجلّ.
هذه حقيقة عباد الله لا بدّ من هذا الوضوح، لهذا كانت بنو إسرائيل في هذا الوقت الطريق واضحة أمامهم {نقاتل في سبيل الله} نبيّهم حصيف يردّ عليهم الرّد اللائق بالنّبي: {قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تُقاتلوا} ألا يُنتظر وأنتم في ساعة الرّخاء أنّي إذا دعوت الله عزّ وجلّ ففُرض عليكم الجهاد في سبيل الله أن لا تنكلوا وأن لا تنكصوا؟ نعم، نفهم من هذا أن الله عزّ وجلّ إذا ما قضى أمراً أو رسوله ما كان لمؤمن و لا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ينبغي أن يقولوا فقط سمعنا و أطعنا، ها هنا يردّون ردّاً يفيض حماسةً وثورة {قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا} نعم، إن حرقة في الصّدر لتشتعل في قلب المؤمن وهو يعلم أنه ما أخرج من بلده و من أهله إلّا لأنه يقول ربّيَ الله و إن جذوةً في الصّدر لتشتعل وهو يعلم أن إخوانه المجاهدين خلف أسوار سجون الظالمين يُسامون سوء العذاب ويُعذّبون في دينهم لله عزّ وجلّ.
{قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا}
علموا أن الطريق الوحيد لاستعادة عزهم ومجدهم إنما هو القتال في سبيل الله {ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا}، وها هنا نطلع على سمة من سمات بني إسرائيل في النكوث بالعهود والنكول عن الوعود هؤلاء بنو إسرائيل {فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين} رغم أنها سمةٌ خاصة ببني إسرائيل إلا أنها سمةٌ إنسانية بشريةٌ على كل حال، يصاب بها هؤلاء الذين لم يبلغوا بعد تلك الدرجة من التربية الإيمانية العالية.
نعم يا ربنا الله عز وجل يصف هؤلاء الذين نكلوا وتولوا عن الجهاد في سبيل الله بأنهم ظالمون
{والله عليم بالظالمين}
نعم؛

- ظالمون هؤلاء الذين يعلمون أنهم على الحق وأن أعداءهم على الباطل فينكصون ويتركون القتال في سبيل الله.
- ظالمون هؤلاء لأنفسهم لأنهم أوردوها موارد الهلكة.
- ظالمون هؤلاء لنبيهم الذي بيّن لهم أن طريق الجِهاد إنما هو طريق العز والنصر والتمكين في هذه الأرض.
- ظالمون هؤلاء لشرعة ربهم وهم يرون هؤلاء الحكّام المرتدين يضعونها تحت أقدامهم ويبدلونها بأحكامٍ وضعيةٍ وضعها بشراً أمثالهم.
- ظالمون هؤلاء لهؤلاء الأسارى خلف أسوار الظالمين ولهؤلاء الثكالى الذين ابتلوا في فلذات أكبادهن الذين يفعل بهم الظالمون الأفاعيل.

نعم {والله عليم بالظالمين}

ثم يأتي بعد ذلك النصُ يبين لنا تلك المحاورة التي تبيّن لنا تعنت بني إسرائيل {وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا} فيتعنتون {قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه} سبحان الله، أنتم طلبتم ملكاً من نبيكم فدعى فاستجاب الله لهُ فأرسل لكم طالوت ملكاً , إيش المشكلة يعني؟ {أنى يكون له الملك علينا} كان طالوتُ ليس من نسل الملوك منهم ولا من نسل الأنبياء ولم يكن غنياً وإنما كان فقيراً غير أنهُ كان عالمًا وكان جميلاً قوياً

ها هنا نبيهم يرّد عليهم {قال إن الله اصطفاه عليكم} وهذه تكفي، تكفي أن الله اصطفاهُ عليكم لأنكم طلبتم هذا ولكنهُ يبيّن لهم عبرة أو دلالة هذا الأمر {وزاده بسطة في العلم

والجسم} كان أعلمَ بني إسرائيل وكان طويلاً قيل إنه سمي طالوت لطوله وقيل أن هذا الطول كناية عن أفعال الخير كقول الشاعر:

تَرى الرَجُلَ النَحيفَ فَتَزدَريهِ ••• وَفي أَثوابِهِ أَسَدٌ هصورُ.

وَيُعجِبُكَ الطَريرُ فَتَبتَليهِ ••• فَيُخلِفُ ظَنَّكَ الرَجُلُ الطَريرُ.

ها هنا نبيهم يبين لهم تلك العلة التي الله عز وجل - والله سبحانه وتعالى قد قضى هذا واصطفاهُ عليكم - {وزاده بسطة في العلم والجسم}

ثم {والله يؤتي ملكه من يشاء} ولكننا أمام من؟ أمام بني إسرائيل!

فقال هؤلاء الناس بعد ما علم نبيهم أن هؤلاء لن يؤمنوا إلا بخارقة فجاءهم بالخارقة {وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم} التابوت كانوا لما غلبوا أخذه منهم عدوّهم والتابوت فيه بقية من الرضراض " الألواح المكسّرة " التي كسرها موسى عليهِ السلام

{وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون} يأتيكم هذا التابوت {تحمله الملائكة} بل وفيه

{سكينة من ربكم} السكينة مأخوذه من (الفعيلة) وهي السكون والوقار والطمأنينة فتنسكب عليكم طمأنينةً وسكينةً ووقاراً

{إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين} معجزةٌ من الله عز وجل لهؤلاء الناس وقد تحققت.

كيف كان موقف بنو إسرائيل مع نبيهم وقائدهم؟ كيف كان موقفهم

وهم ذاهبون لقتال أعدائهم؟

هذا ما ستراه قلوبنا في الخطبة الثانية إن كان في العمر البقية واستغفروا الله إنهُ كان غفاراً.

الخطبة الثانية:

إن حمد الله زيادٌ للنّعم نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفرهُ ونستهديه ونؤمن به ونتوب إليه ونتوكل عليه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ومن يهن الله فما له من مكرم وأصلي وأسلم صلاةً وتسليمًا دائمين أكملين على الضحوك القتال نبي المرحمة ونبي الملحمة عليه وعلى آله وصحبهِ ليوث الصّدام ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين و بعد:

نمضي مع طالوت عليه السلام: {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر} وفي قراءة (بنَهْر) و (النَّهْر) و (النَّهَر) لغتان مشتقتان من السعة ومنها النهار ,

طالوت عليهِ السلام ها هنا نتضح لنا تلك الخيرية التي اصطفاهُ الله عز وجل لأنهُ قائد محنّك لم يغتر بتلك الحماسة الظاهرية التي واجههُ بها بنو إسرائيل كم كان عدد هؤلاء الذين لم يتولوا؟ كانوا ٨٠ ألفا

فصل بهؤلاء الـ ٨٠ ألفا فصل بهم وخرج بهم لقتال أعدائهم وهو يعلم أنهُ مقدم على مقاتلة قوم غالبين، قومٍ جبابرة يملكون العَدد والعُدد أميرهم وملكهم جالوت ظلهُ كما قيل طولهُ ميل وكان يلبس على رأسهِ خوذة تزن ٣٠٠ مئة رطل، وقيل أنه كان يهزم الجيوش وحده وكان في ٣٠٠ ألف وهو يعلم أنهُ خارجٌ بقومٍ قد مرت عليهم الهزائم المرة تلو المرة،

إذن قوم منهزمون لابد من وجود قوةٍ كاملة في قلوب وصدور هؤلاء يواجهون بها أعداءهم الغالبين الأقوياء , ماهي هذه القوة؟
إنها الإرادة عباد الله , الإرادة على ضبط النزوات والشهوات , الإرادة على الصمود أمام المشاقِ وأمام الصعاب , الإرادة على أن يستمر الإنسان في الإبتلاء تلو الإبتلاء هادفاً لا يتزحزح ولا يترجرج ولا يتردد ولا يحيد , هكذا يريد طالوت عليهِ السلام أن يختبر قومهُ ولا بد من ذلك، لابد من وضع المجاهدين أمام المحك العملي إن النّية الكامنة لاتكفي عباد الله لا بد من الإختبار،
ها هنا طالوت عليهِ السلام يختبر قومه , ما هو هذا الإختبار؟ كانوا قومًا عطاشى ومرّ بهم على نهرٍ عذبٍ حسنٍ جميل شديد العذوبة , إذن كي يختبر صمودهم لأنهم لو ضبطوا شهواتهم يكونون على تحمل المشاق والصعاب والقيام بالتكاليف أقدر، يختبرهم!
{فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده}
الإغترافُ هو أخذ الشيء سواء كان باليد أو بالآلة والغُرفة والغَرفة لغتان وقيل الغَرفة باليد الواحدة والغُرفة باليدين، هكذا جعل لهم هذا الإختبار، كم عدد هؤلاء الذين نجحوا في هذا الإختبار؟
حتى لا نغتر بالملاين المسلمين هذه الأيام , قلنا أنهم كانو ٨٠ ألفا عدد الذين شربوا من النهر ٧٦ ألفا لم يتبقى إلا ٤ آلاف فقط لم يشربوا أو شربوا غرفةً واحدة من هؤلاء الـ ٧٦ من شرب شرب الهيم، ولم يرتوِ! ومنهم من شرب دون ذلك ولم يصمد معهُ إلا ٤ آلاف.
ها هنا نقف أمام طالوت - عليه السلام - هل اغترّ بهذه الكثرة؟! التي ولت وسقطت في الإمتحان , وقال كيف اواجه إذن ومعي قلة ونكص على عقبية؟! كلا والله ما نكص، أم أنهُ قال هؤلاء كثرة وينبغي أن يكونوا في الجيش هكذا تجميع على أي صفة وعلى أي حال ينبغي أن لا نفصل هؤلاء لمصلحة وجود هؤلاء الناس؟ كلا!
لابد من فصل هؤلاء ها هنا أمام القرار الحاسم الجازم من طالوت - عليه السلام - يفصل هؤلاء جميعا وما تردد وما تأخر بهذه الكثرة الكاثرة التي رسبت في الإمتحان وشربت من النهر
{جاوزه هو والذين آمنوا معه} وما جازوهُ إلا مؤمن،
لمّا جاوزوا هذا النهر يأتي الإختبار التالي , هل يكفي اختبار واحد للمجاهدين؟ كلا.
لابد من اختبارات متعددة الاختبار الشديد الآ لأنهم الآن أمام قوةً كاسرة أمام جالوت وجنوده.
{فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده} هؤلاء قلةٌ من قلةٍ من قلة ماذا كانت النتيجة؟! هؤلاء منهم من لا يتصل بربهِ عز وجل فيرى الأمور ماديةً يقيسها بموازين البشر، لما رأوا القوة العظيمة ٣٠٠ ألف وهم ٤ آلاف وملك أعدائهم هو جالوت الذي يهزم الجيوش وحده إذن {لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده}
كم عدد هؤلاء الذين قالوا هذه المقولة؟ كانوا - انظروا عباد الله - كانوا ثلاثة ألاف وست مئة وبضعه عشر! يقول البراء بن عازب - رحمه الله -: (كنّا نتحدثُ أن عدة أصحاب طالوت كانوا كعدة أهل بدر ثلاث مئة وبضعة عشر) أنظروا ٣١٣ على بعض الروايات من ٨٠ ألفا هؤلاء {قال الذين يظنون} - أي يتيقنون -
{أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}.
انظروا عباد الله إلى هؤلاء المتصلين بربهم عز وجل , إلى هؤلاء المتصلين بالقوة الكبرى , هؤلاء الذين ينظرونَ ويقيسون الأمور بالميزان الحقيقي , أن القوة بيد الله عز وجل.
{كم} هكذا على التكثير , كأنها قاعدة أن تكون تلك الفئة المختبرة التي تتقدم الصفوف لله عز وجل أن يكونوا قلة , نعم لأن فوجاً من بعد فوج وهؤلاء يرتقون مرتقى الصعب العالي سوف يترنحون وسوف يرسبون ولمن تبقى إلا هذه الفئة القلة القليلة والقاعدة تقول على لسان هؤلاء
{كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله} يكِلون الأمر إلى الله عز وجل , الأمر بيد الله تبارك وتعالى {بإذن الله} ويعللون هذا الأمر {والله مع الصابرين}.

وقد كان {ولما برزوا لجالوت وجنوده} - البَراز - هو المكان الفسيح {برزوا لجالوت وجنوده} ماذا قالوا؟ {قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين} هكذا ينظرون كأن الصبر فيض من الله عز وجل يسألون الله أن يغمرهم بهِ فينسكب في قلوبهم سكينة وطمأنينة {ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا} - فلا تتزلزل ولا تتزحزح ولا تميل - {وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين} طريقٌ واضحة، كفرٌ إزاء إيمان , حقٌ إزاء باطل.

إذن طالما أن الطريق واحدة واضحة لا غبش فيها ولا ترجرج وطالما أنهم يستنصرون الله

فكانوا الذي ظنوه - أي تيقنوه - {فهزموهم بإذن الله} هكذا يكررها الله عز وجل {بإذن الله} إن كنتم تعلمون أن الأمور بإذن الله فازدادوا علما بأن الأمور بإذن الله عز وجل.

{وقتل داود جالوت} ها هنا ننظر إلى هذه الساحة إلى داوود، من داود هذا؟ كان فتىً صغيراً مصفاراً مسقاماً قصيراً أزرق هكذا كانت صفاته - سبحان الله - ماهي العلة التي تقول أن فتى صغير مثل داوود عليه السّلام وهو صغيرٌ قصير أصفر مريض يقتل، من يقتل؟ جالوت الذي يهزم الجيوش وحده.

نعم عبرة من ربكم عز وجل أن هؤلاء الجبابرة أن هؤلاء الغشيمون يقتلهم الله عزّ وجلّ بأيدي فتيان صغار إذا أراد الله وقد كان داوود عليه السّلام أعلم بني إسرائيل بالرّمي بالمقلاع، قيل أنه جاء بحجر فوضعه في (مخلاته) وخرج إلى جالوت، فلمّا تقدّم لجالوت نظر إليه جالوت و قال له: أنت أيّها الفتى الحقير تخرج إليّ؟، قال: نعم. قال: هكذا كما تخرج إلى الأسد أو إلى الكلب؟، قال: نعم و أنت أهون.

ها هنا غضب جالوت فنزل إليه كي يأخذه بيده و يطعمه إلى السّباع والطّيور، ها هنا يسمّي الله عزّ وجلّ داوود عليه السّلام ويأخذ الحجر من (مخلاته) ويضعه في مقلاعه ثم يدير المقلاع ويرسله إليه، فانطلق الحجر إلى خوذة جالوت ويدخل من موضع عينه وقيل من موضع أنفه فيخرج من الناحية الثانية فيقتله الله عزّ وجلّ فينهزمون و ينكسرون، وينصر الله عزّ وجلّ هذه الفئة التي قيل أنها كان على يديها هذا العصر الذهبي لبني إسرائيل، لأن سليمان جاء بعد داوود عليه السّلام.

نعم عباد الله هكذا يقدّر الله تبارك و تعالى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُن فيكون، ينبغي أن يكون يقيننا بالله عزّ وجلّ أنّ القوّة جميعاً بيده سبحانه، بالأمس القريب أسمع أحدهم يقول هذا الذي يفعله المجاهدون في مصر و الجزائر إنّما هو مجرد حلم، كلّا والله ليس بحلم لأن هؤلاء يستمدّون قوّتهم من القويّ العزيز، من بيده الأمر إذا أراده أن يقول له كُن فيكون.

{فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض}.

هكذا تظهر لنا حكمة الله عزّ وجلّ من اصطراع طاقات الناس، قضت حكمة الله أن تختلف طاقات النّاس؛ لأنها لو لم تختلف لتأسّنت الحياة و لتعفّنت، هكذا يقضي المولى عزّ وجلّ أن تختلف اهتمامات النّاس وطاقاتهم ومشاربهم ومن ورائهم تمضي حكمة الله عزّ وجلّ كي تقرّر الخير والبركة والصّلاح في هذه الأرض، ليس أغناماً ولا أسلاباً ولا أمجاد شخصية وإنّما هي لإقرار الأرض، لا بدّ أن تبرز جماعة تقوم بهذا الواجب، وتعلم أنها لو لم تقم بهذا الواجب لما نجت من عذاب الله عزّ وجلّ في الدّنيا ولا في الآخرة، كي تحقّق الخير في الأرض.

يقول الرسول صلّى اله عليه وسلّم: (إن الله يدفع العذاب بمن يصلي من أمتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين) - ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله لذو فضل على العالمين}.

يروي أبو بكر الخطيب -رحمه الله- من سنده أن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في الحديث: (إن لله ملائكة تنادي كل يوم لولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا).

-بمعناه من حديث الفضيل بن عياض-

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ وعليكم أن تعتبروا بمصارع القوم، ونحن نرى المصارع هذه الأيام عياناً بياناً في كلّ لحظة، فاعتبروا عباد الله
قد تزايلت أوصالهم وقد ذهبت أبصارهم و أسماعهم ما عادوا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاعتبروا عباد الله وكونوا على حذر.
اللّهم صلّ على محمّد و إنا نسألك يا ربّنا في هذا اليوم العظيم أن لا تدع لنا ذنباً إلّا غفرته ولا همّاً إلّا فرّجته ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الرّاحمين
اللّهم صلّ على محمّد و إنّا نسألك الهدى والتقى و العفاف و الغنى
اللّهم صلّ على محمّد و فرّج عن إخواننا المأسورين و فرّج عن شيخنا عمر عبد الرحمن وفرّج عن سائر شيوخنا يا أرحم الراحمين
اللّهم انصر إخواننا المجاهدين
اللّهم عليك بالقوم الظّالمين
اللّهم ارزقنا الشّهادة في سبيلك
اللهم انصر دينك و كتابك وعبادك المؤمنين
اللّهم صلّ على محمّد وإنّا نسألك يا ربّنا رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمرنا وتلمّ بها شعثنا وتردّ بها ألفتنا وتصلح بها غائبنا وترفع بها شاهدنا وتزكّي بها أعمالنا وتعصمنا بها من كلّ سوء
اللّهم أعطنا إيماناً ويقيناً ليس بعده كُفر ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدّنيا و الآخرة
اللّهم إنا نسألك الفوز بالقضاء ونُزُل الشهداء وعيش السّعداء و النصر على الأعداء، ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة و قنا عذاب النّار آمين آمين.
وصلّى الله على النبيّ، عباد الله {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}.

٢ الإرهاب فرض والاغتيال سُنّة

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:
تفريغ الدرس المرئي:
الإرهاب فرض والاغتيال سُنّة
للشيخ:
أبي طلال القاسمي
-رحمه الله-
المدة: ساعة و ١٢ دقيقة
إنتاج ونشر: سرايا الأندلس
تم نشر هذا التفريغ في:
شعبان ١٤٣٥ - يونيو ٢٠١٤ م

الحمدُ لله مُعز المؤمنين ومُذل المستكبرين، نحمدُهُ سبحانَهُ ونستعينه استعانةَ راجٍ لفضله واثقٍ بدفعه، ومأملٍ لنفعه، ونستغفره، ونستهديه، ونسترحمه، و نستفرجه، ونؤمن به، ونتوب إليه، و نتوكل عليه، ونعوذ بلله -تعالى- من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده لله ف? مُضل له ومن يضلل ف? هـادي له، ومن يُهن لله فما له من مُكرم، وأشهد أن ? إله إ? الله.
إلهي ابتليتنا فما وجدتنا صابرين، وأنعمت علينا فما وجدتنا شاكرين، فلا أنت زدت البلاء لقلة صبرنا، ولا أنت رفعت النعم لقلة شكرنا.

ونشهدُ أنَّ أستاذنا، وحبيبنا، ومعلمنا، وقدوتنا، وقائدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه، وحبيبه، ونبيّه، ونجيبه، وبعيثه، وصفيُّه بلغ الرسالة، وأدى الأمان، ونصح للأمة، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاةً تُرضيكَ وترضيه وترضى بها عنَّا يا رب العالمين، ثمَّ أما بعد:

إخوة الإسلام، وقفنا في المحاضرة السابقة وقد فرقنا بين التطرف والإرهاب، وبيَّنا أن أهل السنة والجماعة بالنسبة لقضية التطرف بعيدون تمامًا عن هذا المفهوم الذي يعني إما غلوًا أو تقصيرًا، إما إفراطًا أو تفريطًا، في كافة قضايا الإسلام سواءً كانت في قضية التكفير، فنرى أهل السنة والجماعة بين الخوارج والمرجئة، سواءً كانت بين هؤلاء المشبهة وبين المعطلة، أو بين هؤلاء الذين يعتقدون اعتقادات نص عليها علماء العقيدة، وبيَّنوا أن أهل السنة والجماعة هي العقيدة الوسطية بين كافة هذه الفرق، وانتقلنا بعد ذلك إلى قضية الإرهاب، وقبل أن ننطلق وننتهي من قضية التطرف سنعود إلى أصل هذا الأمر وهو العدل في محاضرة قادمة -إن شاء الله-.

أما الإرهاب فقد قدمنا له مقدمات عند أعدائنا وبيَّنا أن أعداءنا بكافة مشاربهم هم إرهابيون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وذكرنا لذلك استدلالات من نصوص في كتبهم المقدسة سواءً كانت في العهد القديم أم العهد الجديد، وذكرنا أيضًا طرحًا من تصريحاتهم وبينَّا كذلك سردًا تاريخيًّا لمواجهاتهم مع المسلمين، الأمر الذي يدلل ويؤكد على حقيقة هو أن طبيعة أعدائنا أنهم إرهابيون، ولكن ماذا بالنسبة لنا نحن المسلمون؟

أحبُّ بداية إخوة الإسلام أن أذكر لحضراتكم قاعدة سندلل عليها من المنقول والمعقول كما هو السبيل في سلوك العلماء حينما يستدلون على قاعدة ما. القاعدة عندنا نحن المسلمون أن المسلم إرهابي لأعداء الله، وأمن وسلام ورحمة وطمأنينة على أولياء الله، {أعزَّة على الكافرين أذلة على المؤمنين} {أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم}، هذه إخوة الإسلام كأنما هي وجهان لعملة واحدة، لن تجدوا مسلمًا شديدًا على الكفار إلا وترونه رحيمًا بالمؤمنين، ولن تروا مسلمًا شديدًا على المؤمنين إلا وترونه ذليلًا على الكافرين، وقد رأينا هذا والأدلة كثيرة.

إذًا الإرهاب في ديننا فرض لأعداء الله -عز وجل-، ما هو الدليل على هذا؟

وقد بينا إخوة الإسلام من طبيعة أعدائنا، ومن طبيعة الصراع، وسنذكر طبيعة ديننا التي تفرض هذه القضية، حتى أنه -لعل- أن النتيجة النهائية والمحصلة النهائية التي نسمع عنها فيما يحدث من مذابح ومجازر في البوسنة والهرسك هذا (إكليل الجبل) الذي يترنم به الأرثدوكس في كنائسهم، ماذا يقول إكليل الجبل؟، يقولون فيه: "سلك المسلمون طريق الشيطان، دنسوا الأرض ملؤوها رجسًا، فلتعد للأرض خصوبتها، ولنطهرها من تلك الأرجاس، ولنبصق على القرآن، وليطر رأس كل من يؤمن بدين الكلاب، بدين محمد فليذهب غير مأسوف عليه".

هذا هو (إكليل الجبل) شباب النصارى في كنائسهم يترنمون بهذه الأنشودة كل يوم أحد، يقولون في مدارسهم: "أنا الأول أشرب من دم المسلم أين الثاني". المجمعات الكنيسية تصدر فتوى باستباحة أعراض المسلمات، هذا عن النصارى بكافة طوائفهم وكافة مذاهبهم وقد بيَّن لنا القرآن هذا كما سنرى.

أما اليهود فلن أعيدَ على أسماع حضراتكم ما قد سمعتموه كثيرًا، أما عن مراقص نعالهم وعملائهم هؤلاء الحكام المرتدين الجاثمين على صدور شعوبنا فالأمر أيضًا واضح لا لُبس فيه، ولعل موقف المجرمين عندنا -على سبيل المثال في مصر- يوم أن اعتدوا على شريعة الرحمن، ويوم أن كثرت تلك التصريحات الضرب في السويداء، وفي المليان أيام (زكي بدر) ويأتي بعده (عبد الحليم موسى) يقول: "اللي هيبص على عسكري أنا هخرمو". نعم، صدق الرجل نحن نغض البصر عن النساء، لا يجوز إخوة الإسلام أن ننظر إلى النساء، هؤلاء والله ليسوا برجال ولا حتى بأشباه رجال، هؤلاء الذين يأخذون نساءنا رهائن مقابل أن يسلِّم الأخ نفسه، هؤلاء ليسوا برجال، قبل وقت ليس بطويل تؤخذ أخت لكم من الإسكندرية وتبقى في مقر مباحث أمن الدولة خمسة أيام، ثم يدخل عليها ضابط أمن الدولة ويقول لها: "يا فلانة أنا مستعد أن أخرجك الآن فورًا بشرط واحد هو أن تخرجي (عريانة) "، و إني لأعتذر لهذا المسمى -أن هؤلاء نساء- والله ما وصلوا بعض لدرجة النساء.

نعم انظروا إخوة الإسلام إلى أم إبراهيم -يرحمها الله-، يروي خبرها لنا أحمد بن جعفر بن اللبان -رحمه الله- في كتابه: "أنه كان بالبصرة امرأة عابدة تُسمى أم إبراهيم، وقد هجم العدو على ثغر من ثغور المسلمين، وقام عبد الواحد بن زيد البصري -رحمه الله- وهو عالم مجاهد، وقف في المسجد يحض الناس على الجهاد في سبيل الله، ويحرضهم عليه، وهي تجلس في نهاية الصفوف -امرأة من القواعد-، وبينما هو يحرض الناس على الجهاد إذ وصف الحورية، الحور العين التي تنتظر الشهيد الذي يقتل في سبيل الله -عز وجل-، ولما بلغ من وصف هذه الحورية مبلغًا وَثَبَتْ أم إبراهيم -رحمها الله-، ونادت عليه: "يا أبا عبيد كرر علي وصف هذه الجارية، والله قد أعجبتني وأنت تعلم ابني إبراهيم الذي يخطبه كبراء البصرة على بناتهم، وأنا أضن به عليهم قد رضيت والله يا أبا عبيد بهذه الجارية زوجة لابني إبراهيم، كرر علي يا أبا عبيد"، فكرر عليها أبياتًا شعرية، قالت: "أشهدُ الله يا أبا عبيد أني زوجت ابني إبراهيم من هذه الجارية, يا إبراهيم"، فقام ابنها إبراهيم من بين الجالسين: "لبيكِ يا أماه"، قالت: "أترضى يا بني هذه الجارية زوجة لك ببذل مهجتك في سبيل الله -عز وجل- وترك العود إلى الذنوب؟ "، قال: "قد قبلت يا أماه"، قالت: "فاشهد يا رب أني قد زوجت ابني من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيل الله وبترك العود إلى الذنوب"، ثم جاءت إلى عبيد في اليوم الثاني بعشرة آلاف دينار، وقالت له: "خذ مهرها يا أبا عبيد عشرة آلاف دينار جهز بها نفسك وجيشك" وعادت لابنها واستجاءت له بفرس قوي، وجاءت له بالسلاح، ثم إنها بعد ذلك لما ودعته جاءت له بكفن وحنوط وقالت له: "يا بني إذا لقيت العدو فإياك ثم إياك أن يلقاك مقصّرًا في سبيله، وإذا لقيت عدوَّك فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط" ثم إنهم ذهبوا ولما ودعته ضمته إلى صدرها وقالت: "اللهم يا رب لا جمع الله بيني وبينك إلا في عرصات يوم القيامة بين يدي الله -عز وجل-". هذه امرأة يضمها ابنها ويسير مع الركب وهم يودعونهم بقول الله عز وجل: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}، قال الراوي: نخرج الناس إلى قتال أعدائهم، فلما برز العدو خرج له إبراهيم وبرز لهم وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى تجمعوا حوله فقتلوه، فلما عاد الجيش منتصرًا، قال عبد الواحد بن زيد البصري -رحمه الله- لمن معه: "إذا قدمنا البصرة فلا تعجلوا بخبر مقتل ابنها -أي أم إبراهيم- حتى أخبرها بحسن العزاء فلا يذهب أجرها"، فلما جاؤوا إلى البصرة خرجت إليهم أم إبراهيم: "يا أبا عبيد هل تقبل الله مني نُسكي فأهنأ أم ردها علي فأُعزّى؟ "، فقال لها عبد الواحد -رحمه الله-: "بل تقبل الله منك نسككِ، وإنا نحسبه حيًّا مع الأحياء يرزق"، نخرَّت لله ساجدة وقالت: "الحمد لله الذي تقبل مني نسكي"، ثم إنها جاءت له في اليوم الثاني فتقول له: "يا أبا عبيد بُشراك"، قال لها: "ما زلت مبشرة بالخير"، قالت: "قد رأيت البارحة ابني إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء وعلى رأسه تاج من ذهب وهو يقول لي: يا أماه أبشري فقد زف العروس إلى عروسه "

هؤلاء هنَّ النساء، هل وصلت مباحث أمن الدولة إلى هؤلاء؟ لا والله

إذًا من هذه المقدمات التي ذكرناها يتبين أن من طبيعة أعدائنا أنهم إرهابيون، فماذا يكون موقفنا نحن عباد الله؟

الدعاوى كما قدمنا كثيرة على أن الإسلام إرهاب، ولن نسلك مسلك هؤلاء المنهزمين روحيًّا، مثل هؤلاء الذين لما عَمَدَ الأعداء إلى نشر مقولة (أن الإسلام إنما انتشر بالسيف) أرادوا أن يدرؤوا عن الإسلام هذه الشبهة، فأخذوا يأتون بالشبهات والأَراجيف؛ كلا إن إسلامنا دين القوة، وإن إسلامنا يحض على الإرهاب لأعداء الله، وعلى الأمن والسلامة والطمأنينة لأولياء الله -عز وجل-.

أمامنا إخوة الإسلام كي نستدل على هذه القاعدة من المنقول ومن المعقول؛ المنقول من قول ربنا -عز وجل-، ومن قول رسوله -صلى الله عليه وسلم- بفهم علماء الأمة الأفذاذ، وأما المعقول فهو مقتضى العقل الصحيح.

أما عن المنقول فيقول الله -عز وجل- في محكم التنزيل: {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة}، نصٌ من السماء، أمر عام لكم عباد الله بقتال المشركين كافة، لا تستثنوا منهم أحدًا بفقه الجهاد المُودَع في كتب الفقه، لماذا؟ لأنه عباد الله ديننا لا يمكن أن يتعايش مطلقًا مع أي أيديولوجيات وضعية أخرى، الجاهلية لا يمكن أن نتعايش تعايشًا دائمًا، أو تعقد مع الإسلام اتفاقات سلام دائمة مطلقًا، لماذا؟ لأن الإسلام جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، والجاهلية بكل صورها تعمل على سجن

عباد الله -عز وجل- في هذه السجون، إذًا لابد أن تصطدم المبادئ الأساسية لدين الإسلام مع القواعد التي تقوم عليها الجاهلية بكل مشاربها، وطبيعة أعدائنا كما قدمنا من نصوص العهد القديم والجديد، ومن مواقفهم في تاريخهم الطويل تقتضي وتؤكد وتبين أنهم لم يتركوا المسلمين، لم يتركوكم وإن تركتموهم، والله إن نسيتم أنكم أسود فلن ينسى أعداءكم أنهم كلاب، هذه قاعدة عباد الله تقوم على استدلالات أصيلة. يخطئ من يظن أن الصراع الآن بين الإسلام وبين كافة أفكار البشر التي وضعوها إنما هي لأمور أو لمشاكل حدودية أو لمشاكل سياسية أو لمشاكل اقتصادية أو لمشاكل تكتيكية أو استراتيجية ... إلخ، كلا، لا والله إن القضية الأساسية عباد الله هي قضية الصراع بين الإسلام وبين الجاهلية، إنما هي كائنة في طبيعة هذا الدين الذي لا يقبل غيره على أرض الله -عز وجل-. إن الإسلام يجب أن يسود، ويقصر أهله إن ركنوا، أو تخاذلوا، أو تكاسلوا عن أن يفرضوا شرع الله -عز وجل- ويمكنوا لدينه وشرعته في أرضه، والجاهلية بطبيعة الحال لم تتركهم.

نص قرآني جاء كي يزيل الغبش، وكي يزيل تلك الرهبة الموجودة في قلوب المسلمين حينما تتنزل عليهم القرآن، ممّن؟ من الولايات المتحدة الرومانية في هذا الوقت، ويقرروا، ويزيلوا تلك الشبهات التي يمكن أن تكون عائقًا دون انطلاقة الإسلام الخالدة، يتنزل القرآن ويقرر تلك القاعدة العامة في معاملة أهل الكتاب الذي سواهم بالمشركين فقال عز من قائل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}

{قاتلوا}: أمر من السماء لكم عباد الله بأن تقاتلوا أهل الكتاب، لماذا؟ كي يزل تلك الرهبة التي كانت موجودة في صدور الصحابة حينما تنزلت هذه الآيات، وهي تحمسهم لمقاتلة الرومان في غزوة تبوك عام تسعة من الهجرة، القرآن هنا يبين لنا المبررات لمقاتلة هؤلاء الناس:

أولًا: أنهم لا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، نعم لا يدينون دين الحق هؤلاء الذين يجعلون مع إلهًا آخر، هؤلاء الذين يقولون أن الله هو المسيح ابن مريم، أو أن المسيح هو ابن الله، أو يقولون بقضية ثلاثة أقاليم أو الأقاليم الثلاثة إلى آخر ما يدعون على اختلاف مذاهبهم في هذه القضية، هؤلاء كافرون ليسوا بمؤمنين.

ثانيًا: لا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ثم إنهم "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله"، وهذه القضية الأساسية، لماذا؟ لأن التشريع من الله -عز وجل-، روى الترمذي وغيره أن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- كان مشركًا وكان ويلبس على صدره صليبًا من ذهب فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ الآية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم} يا رسول الله ما عبدناهم، ما كنا نأتي الحَبر أو الحِبر -وهو عالم اليهود- أو الراهب -وهو المتعبد أو العابد من النصارى- فنركع له ونسجد. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم فتلك عبادتهم"

هؤلاء الذين يأخذون تشريعهم من بشر أمثالهم، هؤلاء اتخذوهم آلهة مع الله، وبهذا يستحقون هذا الوصف الذي نص عليه ربنا -تبارك وتعالى-، هؤلاء الذين يقولون أن عزير ابن الله، أو أن المسيح ابن الله، أو أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم، أو هؤلاء الجالسون على كراسيهم في مجالس برلمانية تشريعية، أو غيرهم، هؤلاء ينسحب عليهم ذات الوصف، ثم إن هؤلاء أيضًا يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بكافة وسائلهم والواقع يؤكد ما نقول.

والحديث يطول حتى ندخل في الموضوع.

نصٌ قرآني آخر، والآيات كثيرة يقول الله -عز وجل- في محكم التنزيل: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل*إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير* إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم* انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}

بعض الناس يسمي هذه الآيات تحميس أو عاطفة، سبحان الله! هكذا سمعنا ..

هذا منهج القرآن يا عباد الله يخاطبكم ربكم -عز وجل-:

{يا أيها الذين آمنوا} نعم يا ربنا

{ما لكم} استفهام يفيد التقرير والتوبيخ

{ما لكم إذا قيل لكم انفروا} والنفر: هو الانتقال بسرعة من مكان إلى مكان

{انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض} أصلها تثاقلتم ادغمت التاء بالثاء لقربهما

... {اثاقلتم إلى الأرض} سبحان الله! كأنه جسم تحاول أن ترفعه وهو يتثاقل ويسترخي إلى الأرض، نعم هي جواذب الأرض، هي رغائب النفس، هي هكذا ثقلة الدم واللحم والتراب، ثقلة الراحة والدعة والاستقرار والبعد عن الابتلاء، كلا .. هذه والله إنها لتعيق انطلاقة الأشواق إلى ماذا؟ إلى العلياء والعز والكرامة.

إن الجهاد في سبيل الله عباد الله والله إنه إثبات لقضية الكرامة والعزة، وإن الذي يقعد عن الجهاد في سبيل الله وتلبية هذا والقيام بهذا الفرض إنما يعدم هذا المعنى العظيم.

والله إنما يقدمه الناس على مذبح المذلة لأكثر بكثير من هذا الذي كان يمكن أن يقدموه للكرامة حينما تطلبت أن يقدموا لها شيئًا، والواقع يؤكد ما نقول. إن للذل ضريبة إخوة الإسلام، وإن للكرامة أيضًا ضريبة، وضريبة الذل أكبر كثيرًا كثيرًا من ضريبة الكرامة، كثير من الناس يظنون أنهم يكونون بمنأى إن قدموا شيئًا للكرامة، كلا والله أنت تقدم من كرامتك ومن حياتك ومن دينك الشيء الكثير ما لو قدمته للكرامة والعزة، هكذا إخوة الإسلام لا يقعد عن الجهاد في سبيل الله إلا من هو في عقيدته دَخَلٌ ودَخَنٌ ولهذا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم في صحيحه: "من مات ولم يغزو ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق"، والنفاق: نوع من الدَخَلِ والدَخَنِ والدَغَلِ في العقيدة الإسلامية، أخرج غير واحد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ ثم لينظر بما يرجع الإصبع" هي كزاد راكب.

تأتي أحدهم الوفاة فيطلب من بنيه أروني كفني الذي سأكفن فيه فيأتون إليه بكفنه ويقول لهم وقد بكى وولى ظهره: أما تركت من كبير شيء في الدنيا غير هذا، أفٍ لك من دار إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور .. هذه هي الدنيا التي تعملون عليها، وإسلامكم يدعوكم كي تحرروه من سجنه، وكي تقروه في أرض الله -عز وجل-، والأسارى هناك ينادونكم ليل نهار، من لنا؟ ونحن نُفتن في ديننا في كل لحظة، وهذا الدين الذي يستبيحونه، وهذه الحرمات التي ينتهكونها، وهذه الدماء التي يسفكونها من لها غيركم أيها المسلمون، وربكم -عز وجل- يناديكم من فوق سبع سماوات {ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل*إلا تنفروا} تحذير شديد من ربكم عز وجل {إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما} في الدنيا والآخرة، نعم إن الجهاد الآن قد تعين، والعذاب الذي توعدنا به ربنا -عز وجل- قد أحل بنا لما تركنا الجهاد في سبيل الله ذلةً وعارًا ومهانةً، وأنَّا تركنا مركز الريادة بين الأمم.

هكذا إخوة الإسلام، لما تركنا الجهاد {إلا تنفروا} إن في هذا يتعين إذا ما اقتحم العدو وتملك أرضًا من أراضي المسلمين يتعين على

أهلها، فإن لم يقدروا يتعين على من حولهم، وهكذا حتى تشمل كل بلاد المسلمين، وهذا هو الواقع، فأين نحن إذن؟ أين نحن من هذا الدين الذي افترض فيه ربنا -تبارك وتعالى- الجهاد في سبيل الله، وحذرنا بقوله عز من قائل: {إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير}.

أتريدون مثالًا من الواقع ومن التاريخ على أن الله -عز وجل- قادر على أن يذهب بكم جميعًا ويستبدل قومًا غيركم، وهو قادر على أن ينصر دينه بكم أو بغيركم، بسبب وبغير سبب، وبعكس السبب؟ نعم .. بعض الناس يريدون أمثلة من الواقع ومن التاريخ، هاكموا مثال من التاريخ: "إلا تنصروه فقد نصره الله" يذكرنا ربنا -تبارك وتعالى- بموقف الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يوم الهجرة، يوم أن تمالأت عليه الجاهلية -وهذا شأنهم مع كل الحركات الحقة التي تدعو إلى الله -عز وجل- وتعمل على تمكين الدين-، تمالأوا عليه واتفقوا على أن يقتلوه - صلى الله عليه وسلم -، يبيت المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في بيته ويخرج مساءً وقد دعا الله -عز وجل- أن يعمي أعينهم عنه، ويأمر عليًّا -رضي الله عنه- أن يبيت مكانه، يخرج وهم نيام، ويضع على رؤوسهم التراب، وكان قد تواعد مع أبي بكر الصديق ودفع لعبد الله بن أريقط -وكان مشركًا- ناقتين أو راحلتين عنده، وكان هذا الرجل عالمًا بالطريق كي يدلهما على الطريق، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه أبو بكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر أن يأتي بالغنم مساءً لهما في غار ثور، وأمر ابنته أسماء أن تأتي له بالطعام، وأمر ابنه عبد الله أن يأتي لهما بالأخبار، ويأتي خلفهما عامر بن فهيرة كي يعفي الأثر، خرجا من خوخة في دار أبي بكر إلى غار ثور وهو ثقب في الجبل، بقيا فيه ثلاثة أيام، وهاهنا تطلب قريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتجعل لذلك جَعْلًا عظيمًا، ويأتي الناس والقصاؤون حتى أن الأثر قد انتهى عند باب أو عند فتحة الغار، يرسل الله -عز وجل- العنكبوت فتنسج بيتًا، ويقول أبو الدرداء وثوبان -رضي الله عنهما-: أن الله -عز وجل- أرسل حمامة فباضت، فقالوا: لا يمكن أن يكون بداخله هذا الغار أحد. أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فيما رواه عنه الإمام أحمد والشيخان والترمذي عن أنس قال: حدثني أبو بكر -رضي الله عنه-: أني قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بغار ثور: "لو أن أحدهم يا رسول نظر لتحت قدميه لأبصرنا"، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا"، يثبتها ربنا -تبارك وتعالى- في

كتابه الكريم وهو يذكرنا بهذه القصة {إلا تنصروه} إلا تنصروا دين الله -عز وجل-، إلا تنصروا سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فقد نصره الله بغير قوة، والأعداء كثر، ولا حول له ولا قوة إلا من صاحبه الصديق -رضي الله عنه-، ولهذا يقول الليث بن سعد: "ما صحب الأنبياء أحد مثل أبي بكر -رضي الله عنه-"، ويقول سفيان بن عيينة -رحمه الله-: أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- قد خرج من المعاتبة بموقفه هذا، ولهذا أي قال العلماء أن الذي يقول أن عمر وعثمان وعلي وأيا من الصحابة ليسوا بصحابة فهذا كاذب مبتدع فاسق، وأما الذي يقول أن أبا بكر ليس بصحاب رسول الله فقد كفر لأنه رد نص القرآن، {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين} أي: أحد اثنين، إذا ما اختلف اللفظ قلت رابع ثلاثة كأنه صير الثلاثة أربعة، أما إذا قلت ثاني اثنين فهو أحد اثنين، ولهذا أخذ العلماء من هذه الآية صحة إمامة أبي بكر؛ لأنهم قالوا أن الثاني لا يكون إلا بعد الأول "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه" أي: لأبي بكر الصديق {لا تحزن إن الله معنا} تلك المعية الخاصة التي تقتضي الحفظ والرعاية {إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه} على رسول الله، وقيل على أبي بكر الصديق أيضا {وأيده بجنود لم تروها}.

الشيعة (١-) الإمامية -قبحهم الله- يقولون أن حزن أبي بكر يطعن في يقينه، سبحان الله! وهل يطعن حزن إبراهيم حينما أوجس خيفة من الملائكة الذين جاؤوا إليه؟ وهل يطعن في يقين هؤلاء العظام أمثال لوط لما أوجس خيفة أيضًا؟ أو في موسى -عليه السلام- لم أوجس خيفة أيضا؟ كلا، وهذا الخوف وهذا الحزن من أبي بكر إنما كان على حبيبه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أن يصيبه أذى.

{وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا}

إن الله -عز وجل- يتحدى الجاهلية جميعًا بضمة {وكلمة الله هي العليا} , إن كلمة الله -عز وجل- هي العليا لأنها تحمل معنى هذا العلياء في نفسها وفي ذاتها ولا تحتاج لحادثة كي تُصّيرها عالية {وكلمة الله هي العليا}

وأخيرًا ربكم -تبارك وتعالى- يقول لكم هذا الأمر السماوي: {انفروا خفافا وثقالا} على كل حال شبانًا وشيوخًا، جبناء وشجعان، من عنده عيال ومن لا عيال عنده، إن كنتم راكبين أو رجلان، إن كنتم عندكم ضياع أو ما عندكم ضياع، على كل حال {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم أنفسكم في سبيل الله}.

يقول أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- وقد شهد غزوة بدر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسائر المشاهد ولم يتوقف عن الغزوات إلا عامًا واحدًا يتجهز للقتال ويقول: ما أراني إلا خفيفًا أو ثقيلًا: {انفروا خفافا وثقالا}.

- هذا أبو طلحة الأنصاري فيما رواه عنه غير واحد يقول لبنيه: جهزوني جهزوني سبحان الله! يا أبانا قد غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان، نحن نغزو عنك، قال: يا بني قد جاءت إلينا سورة البحوث (¬٢) فما أراني إلا إما خفيفًا أو ثقيلًا {انفروا خفافا وثقالا} فيجهزوه فيركب البحر معهم ويموت -رضي الله عنه- على ظهر السفينة فما وجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام ولم يتغير جسده.

____

(¬١) ما ورد في النص باللون الرصاصي هو زيادة من المفرغ.

(¬٢) أسم من أسماء سورة التوبة , قال الإمام أبو بكر بن العربي: (ولها ستة أسماء: التوبة، والمبعثرة، والمقشقشة، والفاضحة وسورة البحوث، وسورة العذاب) [أحكام القرآن - (٢/ ٤٤٤) - ط: دار الكتب العلمية , بيروت-لبنان - تحقيق: محمد عبد القادر عطا]

- هذا عبد الله ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- رجل ضرير يقول للرسول - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد: يا رسول الله إني ضرير، وإن صاحب اللواء إذا ما انهزم انهزم الجيش، فأعطني يا رسول الله اللواء فإذا ما جاءني أحد ما رأيته فما اهتز، فيقول له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قد أعذرك الله.

- هذا سعيد بن مسيب -رحمه الله- فيما يرويه عنه الزهري -رحمه الله- يقول: وقد تجهز للخروج مع المجاهدين، قالوا له: يا إمام إن الله قد أعذرك، وكان أعور فقال لهم: إن كنت لا أقوى على القتال فأكثر سواد المسلمين أو أحرس متاعهم، وقد قال الله عز وجل {انفروا خفافا وثقالا}.

- يروي ابن جرير -رحمه الله- بسنده عن حيان بن زيد الشرعبي -رحمه الله- قال أنه لقي المقداد بن عمرو فارس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحمص يجلس على تابوت من توابيت الصيارفة، وقد فَضُلَ من جسده، وكان عظيمًا سمينًا جزء من جسده فجئت له وقلت: يا فارس رسول الله قد أعذرك الله، قال له: يا بني قد تتلى علينا آيات البحوث {انفروا خفافا وثقالا}.

- يروي أيضا ابن جرير -رحمه الله- بسنده عمن رأى من يقول هذا الرجل حيان بن زيد الشرعبي -رحمه الله- خرجت مقاتلًا مع صفوان بن عمرو إلى الجراجمة بحمص، وهناك رأيت شيخًا هرمًا كبيرًا قد سقط حاجباه، فقلت له: يا عم قد أعذرك الله، فقال لي: يا بني قد قال الله -عز وجل-: {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم أنفسكم في سبيل الله}، وإنه يا بني إنما يبتلي الله -عز وجل- من صبر وذكر الله -عز وجل-.

وها هنا نفهم هذا المعنى الذي من أجله ساد المسلمون، الذي من أجله سادوا الدنيا وصاروا أساتذتها لما امتثلوا هذه الأوامر الإلهية {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم أنفسكم في سبيل الله} نعم هذه أوامر إلهية، ونصوص ربانية قطعية، تأمرنا بأمر سماوي بالجهاد في سبيل الله، فكيف نقول حينما نقف أمام ربنا -عز وجل-؟ هل نقول يا ربنا إنا تمحكنا وجئنا بالمعاذير والفزلكات كي نخرج من هذا التكليف كي يرضى عنا أعداؤنا وحتى لا يقولوا عنا إرهابيون؟ كلا {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}

ثم إن ربنا -عز وجل- يقول في محكم التنزيل: {وأعدوا لهم ما أسطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} ترهبون

هاهنا جملة منصوبة على الحالية أي: لترهبون كأنها علة للأمر السماوي، {وأعدوا} وأي أمر ورد في نصوص الشارع لم يأتي صارف يصرفه إلى النفي أو الإباحة فهو واجب، أو فرض على الخلاف بين الأصوليين، إذن الإرهاب من هذه الآية فرض على كل مسلم رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا، {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}

بعض الناس المنهزمين يأتون إلينا، وقد ذكرنا تلك النصوص من المنقول -هذا هو المنقول من كتاب ربنا-، أما أحاديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فهي كثيرة كثيرة: (لغزوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها) والحديث في مسلم، وعند الإمام أحمد (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له)، (وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)

ومن تشبه بقوم فهو منهم والمصطفى - صلى الله عليه وسلم - يقول: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) بالرعب! بالرعب! وهذا وصف المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المتقدمة أنه لا يدع السيف عن عاتقه، وأنه ينظر شزرًا، وأنه هو وصحابته يهريقون دمًا عكيرًا.

هذا خالد بن الوليد -رضي الله عنه- حينما استعصى حصن من حصون العراق على المسلمين، فيرسل أميرهم يطلب المدد، فيأتي المدد خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، فلما أن سمع من بالحصن أن خالدًا قد جاء، يقف خطيبهم بالحصن فيقول: "أيها الناس، أما بعد: فإنه خالد فيفتح الحصن"، هذا هو الإرهاب، وهذا هو الرعب الذي بشرنا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، هذا هو المنقول، وكثير كثير غير ذلك.

أما من المعقول، وهو مقتضى العقل الصحيح فإني أنشدكم الله -عز وجل- هل أخوة الإسلام توجد لغة الآن في هذا العصر مفهومة غير لغة القوة؟!

والله ما هنالك من قوة يفهمها الناس في هذه الأيام إلا لغة القوة، ولغة الدمار والدم والقتل، هكذا نفهم بمقتضى العقل فيما تتناقله حولنا وسائل الإعلام.

أتظنون أن أمريكا كان يمكن أن تخرج من الصومال -وقد خططت لذلك منذ الخمسينيات للسيطرة الكاملة على هذا المحور- هل يمكن أن تخرج من الصومال لولا أن بضع أفراد منهم قتلوا بطريقة معينة؟

إني أنشدكم الله -عز وجل- هل أحد من حكام المسلمين المرتدين بإجماع المسلمين يمكن أن يترك كرسيه إلا بالقوة؟!

هذا سؤال أن أنشدكم الله وأريد أن أسمع الإجابة، هل يوجد في عالمنا وفي بلادنا حاكم يمكن أن يترك كرسي الحكم بغير ما قوة أو إرهاب؟ أجيبوني؟

لا والله هذا هو الواقع. إذا ماذا أصابنا نحن المسلمين؟!

والآن إني أنشدكم الله أيضًا بهذا المدلول الذي وقع في بيروت في الثمانينيات تأتي أمريكا وفرنسا وبريطانيا كي تقدم لبنان الأمر الذي كان سيغير من ميزان القوة الإقليمية لمائة عام كاملة فرد واحد! فرد واحد! لا نعرف اسمه ولا يضره أن لا نعرف اسمه، فرد واحد يفجر نفسه في مقر المارينز فتكون النتيجة أن تخرج الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا يجرون أذيال الهزيمة، ويتغير مخططهم الذي كان سيغير من ميزان القوة الإقليمية لمائة عام، أليس كذلك عباد الله؟ هذا هو مقتضى العقل.

والآن نسمع وللأسف الشديد من هؤلاء الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد في الكتابة في فقه المذلة، في تقعيد الهزيمة، هؤلاء المرجفون، هؤلاء المثبطون الذين يأتوننا كل يوم بالشبهات، بعضهم يقول إن الإسلام ليس بدين إرهاب ولكنه دين أمن وسلام. نعم هذه كلمة حق أريدت بها أباطيل، إن الإسلام دين رحمة، وأمن، وسلام ولكن لمن؟ وهو دين رهبة، وإرهاب، وقوة، وعنف لمن؟ كما قدمنا {أشداء على الكفار رحماء بينهم}، {أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين} أليس كذلك؟

قال الله تعالى في سورة التوبة آية خمسة: {واقعدوا لهم كل مرصد}، قال ابن العربي -رحمه الله- وتبعه القرطبي وغيره فيها جواز

الاغتيال، هذا قول ربنا {أأنتم أعلم أم الله}؟!

وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما رأى امرأة هذه المرأة كانت تشبّب بنساء المسلمين، وتقول الشعر وتهجو به رسول الله، واسمها عصماء في السنة الثانية من الهجرة، يسمع بذلك الأمر رجل صحابي ضرير هو من هو عمير بن عدي الخطمي -رضي الله عنه-، يأتي هذا لرجل وقد سمع أذية هذه المرأة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كانت تأتي بالمراحيض وتضعها أمام بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعزم في نفسه لإن عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بدر سالمًا لأقتلنها، فلما عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بدر سالمًا خرج إليها ليلًا، ودخل عليها بيتها، وكانت تضع ولدها في صدرها فنحى الصبي عن صدرها، وجاء بالسيف وجعله على صدرها، ثم اتكأ على السيف فخش السيف في الفراش وصاحت المرأة وقتلها، ثم عاد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي الصبح فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ما انتهى من صلاة الصبح، فقال له: يا عمير أقتلت ابنة مروان -عصماء بنت مروان الخطمية-؟ قال: نعم يا رسول الله فهل علي في ذلك من شيء؟ فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا ينتطح فيها عنزان). أي: لا يختلف فيها اثنان ذوى عقل، وهي من الكلمات التي لم يُسبق إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن النطاح من شأن التيوس وليس من شأن (..).

والآن بالله عليكم كم من عصماء يحاربون الله ورسوله، ويستهزؤون بدينه ولا ينتطح فيهم عنزان، ولا حتى جندي الأمن المركزي، بالله عليكم هل لهؤلاء من عمير وكان ضريرًا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن هذا قد بات يسري في طاعة الله) فقال عمر -رضي الله عنه-: انظروا إلى هذا الضرير الذي بات يسري في طاعة الله، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مه يا عمر لا تقل عمير الضرير، ولكن قل عمير البصير) وقد عاش حتى قُتل في زمن عثمان شهيدًا -رضي الله عنه-.

إخوة الإسلام انتهينا معًا إلى أن الإرهاب في ديننا فرض بالمنقول والمعقول، ونستدل الآن معًا على أن الاغتيال في ديننا سنة من المنقول والمعقول، أما من المنقول فنقلنا قول ربنا عز وجل: {واقعدوا لهم كل مرصد}، وعن قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في اغتيال عصماء بنت مروان الخطمية (لا ينتطح فيها عنزان) بنص واضح صريح، ونحن نتسائل بالله عليكم كم تناطحت عنوز حينما اغتيل (...)، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول عن مثلهم (لا ينتطح فيها عنزان).

نستأنف معًا مواقف المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، في هذه القضية في ذات السنة وهي السنة الثانية من الهجرة يأتي سالم بن عمير -رضي الله عنه- وقد سمع أن أبا عفك اليهودي يشبب بنساء المسلمين، ويؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - , ويسمع رسول الله -عليه وسلم- ذات يوم يقول: (من لي بأبي عفك؟) فيقول له سالم: أنا لك به يا رسول الله، وبالفعل على ما روي في كتب السيرة أن سالمًا -رضي الله عنه- تحين فرصة وكانت ليلة صائفة يبيت أبو عفك بفناء داره، خرج إليه وهو يبيت بفناء داره حتى إن اقترب منه ثم وضع السيف على صدره واتكأ عليه، فصاح عدو الله صيحة لم يبق من يهودٍ حصنٌ إلا وأوقد النيران، يتبينوا مصدر هذه الصيحة، فجاء إليه نفر ممن نَجم نفاقهم، ويعود سالم -رضي الله عنه-إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره الخبر، فقال له رسول الله: "أفلح وجهك يا سالم"، هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -!.

وفي السنة الثانية، وكما روي في الصحيحين أن كعب بن الأشرف وكان شاعرًا فارسًا جميلًا ثريًّا من رجال اليهود، بعدما قُتل المشركون في بئر قليب في بدر أخذ ينظم الشعر كي يهيج ثارات العرب، كي تأخذ ثأرها من قتلى القليب في بدر، وكان أيضًا يشبب بنساء المسلمين، فيجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ويقول: "من لي بابن الأشرف فقد أذى الله ورسوله؟ "، فيقول له محمد بن مسلمه -رضي الله عنه-: أنا لك به يا رسول الله أقتله، فيذهب محمد بن مسلمه -رضي الله عنه- ويبقى ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا القليل، ويسمع به الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فيرسل إليه: "يا محمد بن مسلمه سمعت أنك لا تأكل

ولا تشرب ولا تنام إلا القليل لم؟ " قال له محمد بن مسلمه: لقد وعدتك وعدًا يا رسول الله أخشى ألا أفينَّ لك به، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إنما عليك الجهد"، يذهب محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- فيُعدُّ سرية الاغتيال، أربعة هو خامسهم منهم سِلْكَان أبو نائلة الأنصاري -رضي الله عنه-، وكان أخاه من الرضاعة على رواية البخاري، وكان ابن سِلْكَان أخ كعب ابن الأشرف على رواية مسلم، يُعِدُّ

محمد بن مسلمة الخطة، ويأتي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا رسول الله إئذن لنا في أن نقول. نعم؛ إن الحرب خُدعة أو خَدعة كما ورد في الحديث الصحيح، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قل ما بدى لك فأنتم في حل, فيوصله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا ما اقترب القوم من حصن ابن الأشرف، وكان قد تواعد قبل ذلك أن يأتيه وطلب منه في المرة الأولى أن يقرضه شيئًا من وسق من تمر، فقال له كعب بن الأشرف وهو يسائله: ما خبر الرجل الذي بعث فيكم؟ فقال له محمد بن مسلمه -لرواية البخاري- أو نائلة بن سِلْكَان -على الرواية الأخرى- لقد عنَانا -أي: أتعبنا، هم يعتقدون بهذه المقولة قل ما بدى لك- ولو كان لنا من الأمر شيء لفعلنا معه كذا وكذا، فقال له كعب بن الأشرف: قد قلت لكم ذلك، فقال له: قد عنَانا وقد تعبنا نريد كذا وكذا، فسلفٍ من وسق تمر، فقال له ماذا تعيروني أو ترهنوني؟ فقال له محمد بن مسلمة على الرواية: نرهنك ماذا تريد؟ قال: ارهنوني نساء كم؟ قال: ويحك يا ابن الأشرف لقد علمت العرب أنك أجمل رجال العرب وإذًا يعير أبناؤنا، يقولون أن أباء كم قد رهنوا لأمهاتكم مقابل وسق من تمر، قال: إذًا ارهنوني أبناء كم، قالوا: ويحك يا ابن الأشرف إذًا يعير أبناءنا بعدنا يقولون لهم لقد رهنكم أباؤكم مقابل وسق تمر، قال، إذًا ماذا ترهنوني؟ قالوا له: نرهنك سيوفنا -وهي عند العرب ذات قيمة عظيمة يقدرها العرب، وأيضًا تكون مدخلًا كي يدخلوا عليه بالأسلحة-، تواعدوا لذات الليلة، وبينما كعب بن الأشرف مع امرأة قد دخل بها، والعطر يفوح من جسده، إذ يناديه محمد بن مسلمة من أسفل الحصن واليهود لا يقيمون إلا في حصون، لا بد أن يكونوا خلف حصون مشيدة لأنهم جبناء، يناديه محمد بن مسلمة أو نائلة بن سِلْكَان -على الرواية الأخرى-، فتقول له المرأة: إني أرى في هذا الصوت شيطانًا، أو أرى الموت في هذا الصوت، قال لها: إن الكريم إذا دُعي إلى طعنة أجاب إنه أخي من الرضاعة، وإني على موعد معهم، يلتحف كعب بن الأشرف بلحاف له، وينزل إلى محمد بن مسلمة ومن معه، فيلقاه محمد بن مسلمة والآخرون قد اختبؤا -على الرواية الأخرى- أن نائلة بن سِلْكَان أخوه من الرضاعة هو الذي استقبله فقال له: ويحك يا ابن الأشرف ما أطيب هذا العطر (...)، وتحتي الآن فلانه، قال: ما رأيك أن نتمشى نتسامر قليلًا، فصارا يتسامران حتى قال له: هل أشم رأسك يا ابن الأشرف؟ قال: شمّ -وتلك كانت العلامة التي بها يبدأون في اغتياله وقتله-، فأمسك بقرونه، وها هنا كانت علامة الانقضاض؛ فانقضوا عليه يضربونه بسيوفهم، غير أن السيوف قد اختلطت ببعضها وما أجدت فيه شيئًا، قال محمد بن مسلمة -رضي الله عنه-: فتذكرت مغولًا كان معي

-والمغول كما يقول ابن الأثير -رحمه الله- هو الخنجر القصير الذي يستقدم في الاغتيال-، فذكرت مغولا كان معي قال: فأخرجته ثم ضربته ما بين سرته إلى (...)، فصاح عدو الله صيحة وقد قتله الله فاحتززنا رأسه، وجئنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وألقينا رأس كعب بن الأشرف بين يديه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أفلحت الوجوه"، وما صار أحد من يهود يجرؤ على محاربة الله ورسوله بعد هذا.

كانت الأوس -ومحمد بن مسلمة من الأوس- مع الخزرج كان كما قال البخاري -رحمة الله-: يتصاولن في رضا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتصاول الفحلين، لما تذكرت الخزرج أن رجلًا من الأوس حاز هذا الأمر وهذا الرضا، فتذكروا رجلًا في أذية ابن الأشرف، فتذكروا سلام بن أبي الحقيق وانتدبوا له رجلًا من رجالهم وهو عبد الله بن عتيك -رضي الله عنه- كما ورد في الصحيحين: يذهب عبد الله بن عتيك لاغتيال سلام بن أبي الحقيق في حصنه ويأمر من معه أن ينتظروا فلما، اقترب من الحصن وكانت شمس الغروب قد أزفت، فظهر كأنه يقضي حاجته وقد تقنع بثوبه، وكانت من عادة اليهود أنهم ينادون على بعضهم بعضًا كي تُغلق أبواب

الحصون، فنادى الحارس -حارس البوابة-: يا عبد الله -هكذا ينادون على بعضهم بعضًا- يا عبد الله هلمَّ سنغلق الباب، فدخل عبد الله بن عتيق -رضي الله عنه- حصن سلام بن أبي الحقيق وهو يتظاهر كأنما يصلح من سرواله فلم يعرفه في ظلمة الليل الحالك، دخل عبد الله بن عتيق واختبأ، وكان الناس يتسامرون في بيت سلام بن أبي الحقيق حتى إذا ما انتهت المسامرة يخرج عبد الله بن عتيق -رضي الله عنه-، وكلما دخل من باب أغلق الباب خلفه -حتى لا يأتي أحد ورائه فينقذ سلام بن أبي الحقيق، أو حتى لا تحدثه نفسه بأن يرجع-. يذهب عبد الله بن عتيق ويتلمس الطريق في الظلام حتى وصل إلى حجرة سلام بن أبي الحقيق في الطابق الثاني، فلما دخل عليه وكان عبد الله بن عتيق -رضي الله عنه- عنده ضعف نظر فلم يتبين مكانه تحديدًا، فضربه ضربة بسيفه فأخطأت سلام بن أبي الحقيق، فصاح سلام بن أبي الحقيق: أغيثوني، أغيثوني

ماذا يصنع عبد الله بن عتيق انظروا إلى الصحابي الجليل، هاهنا يقول عبد الله بن عتيق: فخرجت من الحجرة وعدت إليه مرة ثانية وغيرت من صوتي -في المرة الأولى قال له: أأنت سلام؟ بصوته في المرة الثانية غير له من صوته، ما الذي أصابك يا سلام كأنه رجل آخر-، قال: ويحك يوجد في البيت رجل يريد أن يقتلني قال حتى تأكدت من مكانه هاهنا ضربته ضربة بالسيف حتى أثرت في فراشه، يعود عبد الله بن عتيق بعدما قتل سلام بن أبي الحقيق، وإذا به نظرًا لضعف بصره -رضي الله عنه- يسقط من على الدرج فتكسر ساقه، ماذا يصنع؟ يقول: ربطتها بعمامتي، ثم أخذت أزحف أزحف حتى خرجتُ من الحصن، وانتظرت هناك حتى آذان الفجر، -كان من عادة اليهود إذا ما مات أو قتل أحد منهم يؤذنون بذلك عند صلاة الفجر-، قال: فانتظرت حتى أتأكد من نجاح العملية، وبالفعل قام مؤذنهم ينعي إلى الناس اغتيال سلام بن أبي الحقيق. قال عبد الله بن عتيق: فعدت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقصصت له الخبر، فقال: أفلح وجهك يا عبد الله، ثم إنه مسح على رجلي فو الله كأني لا أشتكي منها قط.

ولهذا يقول ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري عندما ذكر هذه القصة قال فيها: جواز الاغتيال

هذا فقط؟ كلا, انظروا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد سمع أن خالد بن سفيان الهذلي قد جمع أوباشًا من الناس في بطن عُرَنة، يريد أن يقتحم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أرسل إلى عبد الله بن أنيس -رضي الله عنه-، رجل قوي شجاع من صحابة المصطفى أسد من الأسود

- يا عبد الله بن أنيس
- لبيك يا رسول الله
- إن خالد بن سفيان الهذلي قد جمع أوباشًا من الناس في بطن عُرَنة يريد أن يغزونا بالمدينة، فاذهب إليه واقتله
- فقلت له: يا رسول الله إني لا أعرفه، ما هي آية ما بيني وبينه؟

فقال له: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "آية ما بينك وبينه أنك إذا نظرت إليه تذكرت الشيطان وخفته ووجدت منه قشعريرة"

قال عبد الله بن أُنيس: وكنت لا أهاب الرجال، قلت: يا رسول الله إني لا أهاب الرجال، قال: تلك آية ما بينك وبينه، أنك إذا نظرت إليه خفته ووجدت له قشعريرة وتذكرت الشيطان.

فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا عبد الله بن أُنيس أي نفذ في خزاعة. وأعطاني سيفًا

قال: فو الله ما كان معي إلا السيف في خرقة ربطتها به، وخرجت إلى بطن عُرَنة حتى إذا ما وصلت إلى هناك فلما اقتربت منه كان قد أذن وقت العصر، قال: فصليت وأنا أومئ على دابتي، ثم نزلت وإذا به يسير في نفر من الأحابيش وهو يمسك بحربة له يهد بها الأرض هدًّا، قال: فما أن نظرت إليه حتى خفته وتذكرت الشيطان، ووجدت له قشعريرة، قلت: صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم اقتربت منه، فلما رآني نظر إليَّ وقال: من الرجل؟، قلت: من خزاعة، سمعتُ بجمعك لقتال محمد فجئتُ كي أقاتله معك، قال: فسرنا معًا، قلت: عجبًا لأمر هذا الرجل قد سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، والناس يسكتون عليه؟، فقال له خالد بن سفيان: إنه لم يجد من قبل

مثلي، وهو يهدُّ الأرض بحربته، قال: فأخذت أنشده الشعر حتى استراح لكلامي، فلما وصلنا إلى خيمته صرف الناس وأبقاني، قال: فدخلت معه الخيمة، وأخذت أسامره، وأنشده الشعر حتى نام، فلما نام قمت واحتززت رأسه، وأخذت رأسه بين ثيابي، وخرجت منطلقًا هاربًا، فسمع الناس بهذا وأخذوا يطلبونني، فكنت أسير الليل وأكمن النهار حتى جئت إلى غار فدخلت إليه

ووالله ما معي إلا رأس هذا الرجل وسيفي، فجاء الناس يطلبونني فأخطأوا مكاني؛ لأن عنكبوتًا كان موجودًا على فم الغار، قال: فإذا برجل دخل كي يبحث عني فو الله ما رآني ولكنه ترك نعليه وإداوةً له، فلما خرج خرجت، وأخذت النعلين، وأخذت الإداوة أشرب منها، أسير الليل وأكمن النهار ثمانية عشرة ليلة حتى وصلت المدينة فما أن رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قال: "أفلح وجهك يا عبد الله"، قلت: وأفلح وجهك يا رسول الله، وألقيت برأس خالد بن سفيان الهذلي بين يديه، فأعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عصًا وقال: "تخصر بها يا عبد الله فإنك من المتخصِّرين بها في الجنة"، قال: وكانت عصاه هذه معه حتى قتل -رضي الله عنه- حتى توفاه الله، وأوصى أن تكفن معه، والخبر في الصحيح.

هذا فعل المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتساءل عباد الله أهؤلاء أعلم أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟

هذا من المنقول ماذا عن المعقول؟

نعم، العقل الصحيح يقرُّ بل يوجب إذا كان هناك جزء في جسد إنسان ضرره يتعدى إلى بقية الجسد -العقلُ بعد الشرع- يقر بل يوجب أن يبتر هذا الجزء، أليس كذلك؟ لماذا؟ لأن ضرره سوف يتعدى إلى بقية الجسد.

وهاهنا ما رأينا أحدًا من الناس يقول لنا كيف تأتون إلى عضو فاسد وتقطعونه هكذا بالمنشار هذا إرهاب وعنف ليس من الإسلام في شيء؟ ما قال أحد هذا أليس كذلك؟ لماذا؟ لأنهم يعلمون أنهم لو تركوا هذا الجزء لتأثر أو لتعدى ضرر هذا الجزء الفاسد إلى بقية الجسد

وهاهنا أنتم في غنى عن أن أقول وأكرر أن الذي يقرر أن هذا الجزء إنما يبتر إنما هو المختص، الطبيب المختص، وكذا في حالتنا الذي يقرر أن هذا العضو الفاسد في المجتمع يجب أن يبتر إنما يكون الذي تحققت لديه أهلية لذلك من علم شرعي، وعلم بالواقع كما قرر ذلك علماء الأصول.

إذًا هذا من المنقول، ومن المعقول أن الإرهاب في ديننا فرض، وأن الاغتيال في ديننا على الوضع الصحيح كما هو ثابت إنما هي من سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والكلام يطول غير أن ما قلناه فيه كفاية -إن شاء الله-.

يأتي الآن السؤال: ترانا ماذا نصنع؟

هل هذا مجرد كلام نقرأه أو نعلمه، وديننا مهان، وحرماتنا تنتهك، وأعراضنا تنتهك ودماءنا تسفك، ونحن في هذه المذلة، ونحن في هذه الحال التي تعين فيها الجهاد على كل قادر ..

ولهذا نحن نقول أيها الأخ المسلم إن الجهاد فرض عليك يجب عليك أن تقوم بهذا الواجب، وهذا الواجب لابد أن يكون مع جماعة تجاهد، تقوم مؤدية هذا الواجب لربها في سبيل الله -عز وجل-.

وهاهنا ينبغي عليك أن تقوم إن لم تجد هؤلاء فأنت وحدك كما قال ربنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: }لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين{.

وبفضل الله -عز وجل- الأمة لا تعدم؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في الحديث الصحيح: (لا تزال طائفة من أمتي) هذا نص بأن الطائفة مازالت موجودة في أمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - , وطالما أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قال أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة، إذًا فهو ماضٍ ولابد أن الله -عز وجل- سيهيئ من خلقه ومن عباده من يقومون بهذا الواجب ضمن هذه الطائفة، فلا تقعدوا إخوة الإسلام، قد يقول مقعد أو مثبط أو مرجف: ماذا تصنعون أمام دبابات الأعداء؟ أمام صواريخ الأعداء؟ أمام القوى الكبرى في نظام عالمهم الجديد؟

ترى ماذا نصنع نحن بقوتنا البسيطة نحن هؤلاء الأعداد القليلة بعدد قليلة؟
نعم، أخي الكريم قد نص العلماء على جواز الاقتحام حتى وإن كنت تتيقن أن اقتحامك هذا لن يجدي في العدو شيئًا وأنك ستقتل.
لماذا يا علماءنا؟ يقول ابن قدامة -رحمه الله-، والجصاص في أحكام القرآن قال لثلاثة أمور:
كي ينال شرف الشهادة، وكي يحدث نكاية في العدو، لأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة -بإذن الله-، والثالث وهو الأهم كي يعلم غير المسلمين أن من بين المسلمين من يقتحم، وهو يعلم أنه سيهلك، وهو يعلم أن اقتحامه هذا لن يجدي في العدو شيئًا، ومع هذا يقتحم عندها يهاب أعداء الإسلام المسلمين-يهابوهم أي: يرهبوهم-، وهذا هو كما قدمنا المقصد من الأمر السماوي الذي جاء في كتاب ربنا -عز وجل-: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}.
ما هو الزاد لهذا؟ وما هو السبيل بأكثر تفصيل؟
هذا موضوع محاضرة أخرى إن كان في العمر بقية
ومن الله التيسير، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

٣ ترجمة أبو طلال القاسمي

٣٫١ أبو طلال القاسمي

أبو طلال القاسمي
المهندس طلعت فؤاد قاسم.
مواليد نجع حمادى محافظة قنا، عام ١٩٥٧.
حيث التقى منذ طفولته بالأخ محمد شوقي الاسلامبولى والشهيد خالد الاسلامبولى، حيث أقاما هناك فترة بمناسبة عمل والدهما بشركة السكر.
تخرج فى كلية الهندسة قسم الميكانيكا عام ١٩٨٨ , وكان من الذين سبقوا الى الصحوة الإسلامية المعاصرة أواسط السبعينيات , عرف بإخلاصه الشديد وتواضعه الجم واندفاعاته من أجل تبليغ الناس دعوة ربهم وعودتهم للالتزام بأحكامه وشريعته وآدابه، فقاد قوافل الدعوة الى المقاهي حيث يجلس عامة الناس للتلهى فيحدثهم أبو طلال حديثا لم يألفوه عن يوم الدين وسبب استخلاف الله للإنسان فى الأرض لعبادته وطاعته فيخرج من حلقته بمن شرح الله صدره للإسلام.
وقد التقيت أبو طلال عام ١٩٧٩ فى المدينة الجامعية بأسيوط وكانت الأحداث تتصاعد .. هناك ثورة الطلاب ضد استقبال السادات لشاة إيران .. وثورة الطلاب على بناء سور يحوط المدينة الجامعية ويكبلها، فوجدته هادئا باسما مرتب الفكر والخواطر.
وفى عام ١٩٨٠ أقامت الجماعة الإسلامية فى صعيد مصر سوقا خيريا للسلع المعمرة يواجهون بها حالة الغلاء التي استعرت فى مصر وغياب بعض السلع التموينية، فقدمت الجماعة فى سوقها هذه السلع بأسعار التكلفة، وكان الأخ طلعت فؤاد قاسم هو المسئول عن متابعة إنشاء الأسواق فى المحافظات المختلفة، فسافرت إليه ببلدته نجع حمادى لاتفق معه على إقامة السوق ببلدتي أسوان، فوجدت قدمه في الجبس لحادث ألّم به، ورغم ذلك فهو يتنقل هنا وهناك وأصر على ضيافتي ولقيته بنفس الصفات التي لقيته بها فى مرتي الأولى، إقبال على الله وهدوء شديد يغلف كلماته يحمل على الاعتقاد أنه يكبر سنه بمراحل كثيرة وأنه يحمل هموما كبيرة.
كان أبو طلال القاسمى شديد الولوع بالدعوة الإسلامية والاحتكاك بالناس وهموم العمل العلني , لذلك تعرض للابتلاء سريعا، و لانه يمارس الدعوة العلنية فقد شمله قرار التحفظ الذي أصدره السادات بالقبض على ١٥٣٦ من قيادات الحركة الوطنية بمصر، ومن بينها بالطبع وأكثرهم من الحركة الإسلامية، واحتجز طلعت فؤاد قاسم بسجن استقبال طره مع من تم القبض عليهم مبكرا.

ومع أحداث المنصة وقيام خالد الاسلامبولى وأصحابه، عبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة وحسين عباس باغتيال السادات والقبض عليهم، عرف قدر طلعت فؤاد قاسم وأنه أحد أبرز أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية، بعد أن تحالفت مع جماعة الجهاد بقيادة الشهيد محمد عبد السلام فرج , وانه لعب دورا بارزا فى إقناع الدكتور عمر عبد الرحمن بقبول مهمة قيادة الجماعة، عندما سافر إليه صحبة الاخوة كرم زهدي و عبود الزمر وأخرين لاقناع فضيلته بهذه المهمة، ومن الطبيعي إذا أن يشمله قرار الاتهام فى قضية الجهاد الكبرى وتقضى المحكمة بمعاقبته بالأشغال الشاقة سبع سنوات قضاها صابرا محتسبا.
وأذكر أنه كنا قد تمكنا أنا والأخ رفاعى طه - أحد أبرز قيادات الجماعة الإسلامية - من الفرار من القبض آنذاك وحاولنا أثناء فرارنا أن ننهض ببعض الواجب الشرعي في استنقاذ إخواننا الأسرى وتقوية العناصر الإسلامية التي لم يقدر لها ابتلاء الأسر، ورغم ظروفنا الصعبة ومتابعات أجهزة الأمن لنا إلا أننا بفضل الله ومنته تمكنا وقتها من إنجاز قدر لا بأس به من هذه المهام إلى أن وقعنا في الأسر.
وأذكر لأخي طلعت فؤاد قاسم رحمه الله موقفا لا أنساه أبدا، علمني أن القيادة فن لا يقدر عليه أي أحد وأن معالجة الأمور نعمة لا يمن الله بها إلا على المخلصين وأصحاب الموهبة؛
فعند دخولي عليه ومعه بعض إخواننا بسجن طره - أذكر منهم المهندس أسامة حافظ والأخ فؤاد الدواليبي - وكانوا جلوسا فى حضرة الشيخ عمر عبد الرحمن بعنبر المستشفى قام أبو طلال فى استقبالي وتمتم بالآية الكريمة (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)، فعالج في بساطة شديدة بآية رددها فى هذا الموقف آلاما مبرحة عانيتها طيلة تسعة أشهر كاملة عزلت خلالها فى سجن القلعة.
وأذكر أنه بعد الإفراج عنه عام ١٩٨٨ وكان قد قدروا عليه خمس سنوات يقضيها تحت المراقبة الشرطية، بمعنى لا بد أن يوقع كل يوم مساء بمخفر الشرطة ولا يجوز له الانتقال من بلدته الى أي مكان إلا بعد إخطار الشرطة باعتزامه السفر إليه، فقد اختار أبو طلال الإقامة بمسكني بالقاهرة كمقر رسمي له، كانت خلالها تتوافد الوفود لزيارته بمسكني ونعمت بصحبته طيلة شهرين قبل أن يعيدوا القبض عليه مرة أخرى ويقبع فى معتقله قرابة عام ثم يتمكن من الفرار أثناء عملية ترحيله من سجن إلى أخر، ويتمكن بفضل الله من السفر إلى خارج البلاد.
حيث استطاع أن يصل إلي أرض الجهاد في أفغانستان قبل تحرير كابول، وهناك أسس أبو طلال مع ثلة من إخوانه مجلة المرابطون - لسان الجماعة الإسلامية - وانطلقت في عز مجدها تدعوا إلي الله وتحرض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكان الناس يتلقفونها ويتقبلونها بالبشر والترحاب.
وليت إخواننا القائمين على هذه النشرة الرائدة أن يعيدوها إلى خطها الدعوى الشامل فتعود الحياة تدب في صفحاتها وعبر أزيز وذبذبات الإنترنت فلها مكانتها في قلوب المسلمين تخفق لها ولغيرها من المطبوعات التي تعالج هموم المسلمين , إن مطبوعات ونشرات الحركات الإسلامية من الممكن أن تلعب دورا بارزا في مواجهة تغول العولمة على هوية الأمة ومحاولة مسخها، بأن تلهب مشاعر الجماهير غيرة على دينها وتقاليدها وآدابها , وأن تقدم للأجيال المختلفة وجبة صالحة من التراث والفكر والأصالة والمعرفة فقها وسلوكا وعقيدة وتاريخا وعلوما إنسانية مختلفة , إن الآليات الإعلامية للحركات الإسلامية تظلم نفسها وتهدر طاقتها في الانكفاء على مجرد إصدار البيانات الحماسية المشبعة بلغة الصراخ التي قد تذهب أدراج الرياح فلكل عصر أسلوب خطابه وأدواته.
ثم استقر مقامه في الدانمرك بعد أن حصل على اللجوء السياسي هناك، وتبوأ عن جدارة مهمة الترويج الإعلامي للجماعة الإسلامية وتفنيد الاتهامات التي تبثها أجهزة الأمن ووسائل الإعلام ضدها , وطوال فترة وجوده بالدانمرك لم ينقطع عنى ولم أنقطع عنه , كان دائم الاتصال والتودد الى إخوانه , واسع الأفق , شديد الغيرة على دين الله , دائم التواضع لإخوانه.
وفى ليلة مظلمة من ليالي سبتمبر من العام ١٩٩٥ تم اختطاف طلعت فؤاد قاسم من كرواتيا في مؤامرة دولية، تناست فيها دولا كبرى كل العهود والمواثيق التى قامت عليها , تناست القيم والمبادئ في أن تسوغ لأجهزتها خطف رجل أعزل لاجئ سياسي في جوار أوربا.
واقتيد أبو طلال بإيمانه الذي لم ينقطع بالله الى سفينة أمريكية، وقالت الكروات، انهم لم يعلموا شيئا عنه بعد إطلاقه!!
غير أننا نستودع أبو طلال أمانة استردها صاحبها ونحتسبه شهيدا يرتع في الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

[بقلم: منتصر الزيات، ٩/ ٥/٢٠٠٠]

٣٫٢ أبو طلال القاسمي؛ ما لم يقله الأستاذ منتصر الزيات

أبو طلال القاسمي؛ ما لم يقله الأستاذ منتصر الزيات
لقد أطال الأخوة الكرام في وصف مناقب الأخ الفاضل طلعت فؤاد قاسم وأفادوا وأصابوا، ولكنهم لم يذكروا فترة هامة في حياته؛ وهي فترة سجنه سبع سنوات - من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٨ - ودوره في إعداد البحوث وبلورة فكر "الجماعة الإسلامية" وظهورها سواء إقليميا أو دوليا.
أما قبل دخوله السجن فكان له دور رائد مع الشيخ كرم زهدي صاحب الطاقة التي لا تخبوا ومعه قلة من الشباب على رأسهم طلعت فؤاد قاسم، فكانوا يجوبون انحاء البلاد طولاً وعرضاً، دعوة الى الله - سراً وعلناً - ناشرين الفكر الذى دانو الى الله به، باذلين الغالى والنفيس، صابرين محتسبين، قدوتهم الذى قال له رب العزه: {واذا فرغت فانصب والى ربك فرغب} عليه الصلاة والسلام.
فانطلقوا حاملين الآمانة على ثقلها في طريق صعب مع قله سالكيه لا يضرهم من خذلهم.
أذكر انه في أحد المرات جائني الشيخ كرم زهدي يسأل عن أبي طلال؟ وكان في حاله شديدة من الغضب، وذلك أن أحد القادة بالوجه البحرى من مصر تصرف تصرفا غير مسؤول قد يؤدي إلى كشف التنظيم، فأراد كرم زهدي أن يجمع بعض القادة ليذهب إلى القاهرة لمنع هذه الكارثة. وفى ذلك الوقت كان طلعت فؤاد قاسم مصاب بصداع نصفي شديد، وفي حالته هذه لا يستطيع أن يتحرك أو يتكلم، ولكن عندما رأى حالة الشيخ كرم إنتفض واقفا وذهب معه مباشرة. وكان جميع من في السيارة لم يذوقوا الطعام لفترة طويلة من السفر المتواصل.
في فترة السجن؛ وهي فترة عصيبة، ولكنه كان صابرا محتسبا ومصبرا لغيره، ضاربا بذلك مثلاً للدعية الصابر الداعي لدين الله في جميع الاحوال، في الرخاء والشده، في المنشط والمكره.
فبعد حفلات التعذيب بـ "إستقبال" و "ليمان طرة" و "القلعة"، وبعد إنتهاء التحقيقات المباحثية وما واكبها من تعذيب شديد، ومما أدى إلى موت عدد من الشباب المسلم, وبدأ فتح الزنزانات، وكان في سجن الإستقبال عدد كبير من الإسلاميين من جميع الإتجاهات، من التكفير الى المرجِئة، وكل يدعوا إلى فكره، فكان له دور كبير في الحفاظ على فكر وعقيدة إخوانه، فأخذ يتنقل بين الزنزانات لمحاربة الأفكارالمنحرفه، وذلك في فتره دقيقه وحساسة، فلم يكل ولم يمل.
ثم بعد ذلك كله؛ كان له دور كبير في محاولة الإصلاح بين "الجهاد" و "الجماعة الإسلامية"، عندما حدثت خلافات، فكان يتمتع بقبول لدى الجميع، فكان له دور كبير في إظهار الوحدة أمام وسائل الإعلام أثناء المحاكمات.
ثم بعد الأحكام تفرغ مع غيره إلى إعداد البحوث الهامة التي أثرت في فكر الجماعة وأعطتها رسوخا وضيائا، وكذلك كانت له دروسه الاسبوعية، على سبيل المثال لا الحصر؛ "أسباب سقوط الأندلس"، "عبر وعظات"، وكذلك من الدروس اليومية "من الصحابي؟ "، فكان عنده قدره على الحفظ غير عادية، فيحفظ الصحابي بجميع الكنى وكذلك نسبه الى أكثر من عشرة أسماء بدون خطأ أو لحن.
ساهم تقريبا في جميع البحوث وكان له بحث خاص وهو "ادب المفتى والمستفتى"، وكان محباً للسيرة والتاريخ الإسلامي.
يتميز أبو طلال القاسمي بحبه الشديد للإخوة، مقابل هذا بغضه وكرهه الشديد لأعداء الله والظالمين, وهذا هو الميزان الإيماني، فأن زاد حبك للمؤمنين زاد كرهك لأعداء الله والعكس صحيح. وترى هذا الميزان واضحا على وجهه؛ فإذا رأيته غاضبا فتعلم أنه قد انتهكت حرمة من حرمات الله او أنه رأى عدوا من أعدا الله.
لذلك أراد الإخوة أن يعالجوا الأمر بتكليفه بالتعامل مع إدارة السجن - حيث يعين شخص واحد يتعامل مع الإدارة لتوصيل طلبات الإخوة الدراسية والمعيشية وغيرها لمنع المفاسد المترتبة من التعامل معهم - ولكنه فشل فشلا ذريعا، حيث انه لم يستطع أن يخالف فطرته السوية وإستمر على كرهه لأعداء الله، وهم بادلوه نفس الشعور ولكن بخسة وندالة، وكان اخرها أن أعطوه الأمان والجوار

بالموافقة على طلب اللجوء ثم غدروا به فرفعه الله إلى خير جوار فانتقل من جوار اللئيم الى جوار الكريم. فهنيئا لك أبا طلال نحسبك شهيدا ولا نزكي على الله أحد.
وهنك الكثير من الذكريات مع هذا الأخ الحبيب، طوال ٥ سنوات قضيناها معاً في السجن، لا يتسع المجال لذكرها.
اختم حديثي برؤية قد رؤيت من أحد الإخوة: ان ابا طلال وآخر كانا يصعدان إلى السماء وكان ابو طلال هو الأسبق، فقيل: أنها الشهادة، ولقد تحققت الرؤيا، {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}.
ولتعلم ان هذا الآخر في إنتظار لقائك ولقاء الأحبة، جمعنا وإياكم في مستقر رحمته مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.
[بقلم: أحمد عزت]